الفصل الأول

مقدمة

obeikandl.com

obeikandl.com

تثير دهشتى البصيرة الضعيفة فى علوم الاقتصاد لدى كثير من أصحاب الحياة النشطة، ومن هنا تجد البعض من اليهود أنفسهم يكررون عن اقتناع تام صيحة معاداة السامية: «نحن نعتمد فى بقائنا على دعم الأمم التى تستضيفنا، وإن لم تكن تلك الدول هناك لدعمنا لمتنا جوعًا». تُظهر لنا هذه النقطة كيف يمكن لهذه الاتهامات الظالمة أن تضعف إدراكنا لأنفسنا. ولكَن ما هى الأسس الحقيقية لتلك العبارة الخاصة بالأمم التى تقوم بدور «المضيف»؟. حيث إنها لا تقوم على أفكار فيزيوقراطية(*) محدودة، فهى تعتمد على الخطأ الساذج الذى يذهب إلى أن السلع تنتقل من يد إلى أخرى فى دوران مستمر، ونحن لسنا بحاجة إلى الاستيقاظ من سبات عميق، مثل ريب ڤان ڤينكل، حتى يمكننا أن ندرك أن العالم قد تبدّل كثيرًا من خلال إنتاج سلع جديدة، فالتقدم التكنولوچى الذى شهدته هذه الحقبة الزمنية الرائعة من شأنه أن يمكن ـ حتى أقل الرجال ذكاءً ـ من أن يدرك بقصر نظره ظهور أنواع جديدة من السلع حوله، خلقتها روح المغامرة التجارية.

إن العمل بدون روح المغامرة هو العمل الراكد للزمن القديم؛ تمامًا كالفلاح الذى يقف الآن تمامًا حيث وقف أسلافه منذ ألف عام. إن كافة وسائل الرفاهية المادية المتاحة لنا الآن هى نتاج جهود رجال يملكون روح المغامرة، حتى أنى أشعر بالخجل إبان قيامى بكتابة ملحوظة سخيفة كهذه. حتى وإن كنا أمة من التجار المغامرين ـ مثلما تبالغ بسخف الأقوال التى تجعلنا نبدو هكذا ـ فلا يجدر بنا أن نحتاج إلى أمة أخرى لنعيش عليها. نحن لا نعتمد على تداول السلع القديمة لأننا ننتج أخرى جديدة.

لدى العالم عبيد يتمتعون بقدرة هائلة على العمل ممن أدى ظهورهم إلى اختفاء السلع اليدوية: هؤلاء العبيد هم الآلات. صحيح أننا نحتاج إلى العمال لتشغيل

(*) الفيزيوقراطية مبدأ ظهر فى القرن الثامن عشر فى فرنسا، ونادى أصحابه بحرية الصناعة والتجارة وبأن الأرض هى مصدر الثروة ـ المورد.

الآلات؛ إلا أنه لدينا لهذا الغرض العديد من العمال، فى وفرة زائدة عن الحاجة. وفقط لدى الجاهلين بأوضاع اليهود فى العديد من دول أوروبا الشرقية الجرأة على ادعاء أن اليهود إما غير صالحين أو غير راغبين فى القيام بالأعمال اليدوية.

ولكنى لا أريد فى هذا الكتاب أن أبدو كالمدافع عن اليهود؛ فسوف يكون ذلك بلا جدوى. فكل ما يمكن أن يقال للدفاع عنهم سواء كان فى عبارات منطقية أو عاطفية قد سبق قوله بالفعل. فإن لم يكن لدى المستمعين القدرة على استيعابها، يكون المرء كالواعظ فى الصحراء. أما إذا كان المستمعون يتميزون بأفق واسع وقدر كاف من الذكاء بحيث يمكنهم فهمها على الفور، فعندها تصبح الموعظة بلا ضرورة. إننى أؤمن بقدرة الإنسان على الارتقاء بصفة مستمرة لدرجات أعلى وأعلى من الحضارة؛ ولكنى أرى أن هذا الارتقاء يتم فى بطء شديد. وإذا كان علينا أن ننتظر إلى أن يصبح الفرد العادى على القدر نفسه من حب الخير الذى كان يتحلى به ليسينج عندما قام بكتابة «ناثان الحكيم ـ Nathan der Weise» فسوف نحتاج إلى أن ننتظر إلى ما بعد يومنا، وما بعد أيام أطفالنا، وأيام أحفادنا، وأيام أحفاد أحفادنا. ولكن، تأتى إلينا روح العالم لتمد لنا يد المساعدة من جهة أخرى.

لقد أنعم هذا القرن على العالم بنهضة رائعة من خلال الإنجازات التكنولوچية التى شهدها؛ ولكن فى الوقت ذاته لم يتم توظيف هذا التقدم المذهل فى خدمة الإنسانية. فبالرغم من أن المسافات لم تعد تشكل أى عائق، ما زلنا نشكو ضيق المساحة. تحملنا سفننا الضخمة بسرعة وسلامة إلى بحار كنا نجهلها من قبل، وتصعد بنا السكك الحديدية بأمان إلى أعالى الجبال التى كان الفرد يتسلقها من قبل على قدمين مرتعشتين من الخوف. وفى خلال ساعة واحدة من الزمان أصبحنا نعلم ما يقع من أحداث فى بلدان لم يكن قد تم اكتشافها بعد خلال الفترة التى أجبرت فيها أوروبا اليهود على السكن بأحياء محددة. ومن ثم، فإن مأساة اليهود لم تعد تناسب هذا العصر ـ ليس بسبب حركة التنوير التى قامت منذ مائة عام مضت، حيث إن هذا التنوير لم يصل فى حقيقة الأمر إلا إلى صفوة العقول.

فأنا أؤمن تمامًا بأنه لم يتم اختراع المصباح الكهربائى بهدف إضاءة غرف الرسم الخاصة ببعض المبتكرين، بل لإلقاء الضوء على بعض مشكلات الإنسانية المعتمة.

أحد هذه المشكلات، وليست أقلها شأنًا، هى قضية اليهود. وفى حلها، نحن لا نعمل فقط من أجل أنفسنا، بل من أجل العديد من المقهورين والمثقلين بالأعباء.

ما زالت قضية اليهود قائمة، وسيكون من الحماقة إنكار ذلك. إنها من بقايا العصور الوسطى، حيث يبدو أن الأمم المتحضرة بالرغم من كل ما بذلته من جهد لا تستطيع أن تحسمها. لقد أظهروا بالتأكيد رغبة كريمة للقيام بذلك عندما قاموا بتحريرنا، غير أن القضية اليهودية تطرح نفسها حيثما يعيش اليهود بأعداد ملموسة. وحيث لا يكون لها وجود [بعدم وجود اليهود]، فإن اليهود ينقلونها معهم فى مسيرة ترحالهم. ومن الطبيعى أن نرتحل إلى الأماكن التى لا نتعرض فيها إلى الاضطهاد، ولكن ما إن نظهر حتى نتعرض للاضطهاد. هذا هو الحال فى كل دولة، وسيظل كذلك حتى فى الدول الأكثر تمدنًا ـ فى فرنسا، على سبيل المثال ـ إلى أن يتم حل القضية اليهودية على أساس سياسى. والآن، يحمل اليهود التعساء بذور معاداة السامية إلى إنجلترا؛ بينما قاموا بالفعل بإدخالها إلى أمريكا.

أعتقد بأننى أتفهم معاداة السامية، وهى بالفعل حركة بالغة التعقيد. وأنا أنظر إليها من وجهة نظر يهودية، ولكن دونما كراهية أو خوف. أظن أننى أدرك ما تنطوى عليه معاداة السامية من سخرية سوقية، وغيرة متبادلة، وتحيز متوارث، وتعصب دينى، ودفاع مزعوم عن النفس. وأرى أن قضية اليهود لم تعد قضية اجتماعية ولا دينية، حتى وإن كانت فى بعض الأحيان تتخذ هذه الأشكال أو أشكال أخرى. إنها قضية قومية لا يمكن حلها إلا إذا أصبحت قضية سياسية عالمية، يتم تسويتها فى ظل مجلس يتشاور فيه الأمم المتحضرة.

نحن شعب ـ شعب واحد

لقد حاولنا بصدق فى كل مكان أن ندمج أنفسنا مع الحياة الاجتماعية فى المجتمعات التى نتواجد بها، وأن نحافظ على معتقدات آبائنا، ولكن لا يُسمح لنا بذلك. ونحاول بلا طائل أن نكون وطنيين مخلصين، بالرغم من أن درجة إخلاصنا تصل فى بعض الأحيان إلى أقصى الحدود، وبلا طائل نقدم التضحيات ذاتها من الممتلكات و الأرواح التى يقدمها نظراؤنا من المواطنين؛ بلا طائل نسعى إلى رفعة اسم البلد الذى ولدنا به فى العلوم والفنون، أو لزيادة ثرواته من خلال التجارة والمعاملات التجارية. ففى

البلاد التى عشنا بها لقرون، ما زلنا ننعت بعبارة «الغرباء»، حتى من قِبل هؤلاء الذين لم يكن أسلافهم قد أقاموا بعد فى تلك البلاد التى لطالما عانى اليهود فيها.

قد يقرر الأغلبية من هم الغرباء؛ فالأمر برمته، مثله مثل كافة النقاط التى تنشأ فى العلاقات بين الأمم، مسألة قوة. وأنا هنا لا أتنازل عن أى جزء من حقوقنا المكتسبة عندما أدلى بهذا التصريح باسمى كفرد فحسب. فى العالم فى الوقت الحاضر، وكما سيظل على الأرجح إلى أجل غير محدد، تسبق القوة الحق. لذا، فإنه من غير المجدى بالنسبة لنا أن نكون وطنيين مخلصين، مثلما كان الفرنسيون البروتستانت«الهوجونوت» من أتباع كالڤين، والذين أجبروا على الهجرة. ألا يمكن أن يدعونا وشأننا فى سلام. . .

ولكن أظن أننا لن نُترك وشأننا فى سلام.

إلا أنه ليس بإمكان القهر والاضطهاد أن يقضيا علينا، فلا توجد أمة على وجه الأرض تغلبت على مثل الصراعات والمعاناة التى خضناها. إن حملات التحريض ضد اليهود لم توقع إلا بالضعفاء منا فحسب؛ أما الأقوياء بيننا فكانوا مخلصين بثبات لجنسهم عندما اندلع الاضطهاد ضدهم. ظهر هذا الموقف جليّا فى الفترة التى تلت تحرير اليهود مباشرة. إن هؤلاء اليهود ممن يتمتعون بتقدم فكرى ومادى قد فقدوا تمامًا مشاعر الانتماء إلى سلالتهم. فحيثما يدوم رخاؤنا السياسى لأى مدة من الزمن، يحدث اندماج بيننا وبين ما يحيط بنا؛ وأظن أن هذا ليس مخزيًا. لذا، فإنه إذا أراد رئيس أى دولة أن يرى سلالة اليهود فى أمته، فعليه أن يؤمن فترات استقرارنا السياسى هناك: ولكن حتى بسمارك ذاته لم يكن ليستطيع القيام بذلك.

ولايزال التحامل القديم علينا قابعًا فى أعماق قلوب الناس، ومن يحتاج إلى أدلة على ذلك، عليه فقط أن يستمع إليهم عندما يتحدثون بصراحة وبساطة؛ فالأمثال والحكايات الخرافية معادية للسامية. الأمة فى كل مكان ما هى إلا طفل كبير يمكن بالتأكيد تثقيفه؛ إلا أن تثقيفه، فى أفضل الظروف، سيستغرق قدرًا كبيرًا من الزمن يمكن فيه، كما ذكرنا سابقًا، أن نتغلب على عقباتنا بوسائل أخرى تفى بالغرض قبل انتهاء عملية التثقيف تلك بوقت طويل.

فانصهار اليهود ـ كما أفهم الانصهار الذى لا يقتصر فقط على المطابقة الخارجية للملابس، والعادات، والتقاليد، واللغة، ولكن أيضًا التشابه فى الشعور والتصرفات ـ يمكن أن يتحقق فقط بتزاوج الأفراد. ولكن الأمر يتطلب شعور الأغلبية بالحاجة إلى التزاوج المختلط، وليس فقط مجرد اعتراف القانون به.

والليبراليون المجريون الذين فرضوا منذ فترة قصيرة تقنين الزواج المختلط قد اقترفوا بهذا خطأ جسيمًا أوضحته إحدى الحالات المبكرة؛ حيث تزوج يهودى معمد [أى أصبح مسيحيًا] من يهودية. وفى الوقت نفسه، أبرز الصراع للحصول على الشكل الحالى للزواج الفوارق بين اليهود والمسيحيين، ومن ثم تسبب فى المزيد من إعاقة الاندماج بين السلالات بدلاً من المساعدة عليه.

أما أولئك الذين تمنوا حقًا اختفاء اليهود من خلال التمازج مع أمم أخرى، فيمكنهم أن يأملوا تحقق ذلك بطريقة واحدة؛ يجب على اليهود أولاً أن يحققوا قوة اقتصادية ضخمة تفى بمساعدتهم على التغلب على الأحكام المسبقة القديمة الممارسة ضدهم. والأرستقراطية خير مثال على ذلك، حيث تضم فى طياتها أضخم عدد نسبى فى الزواج المختلط، حيث كان الامتصاص التدريجى للعائلات اليهودية التى أعادت الرونق لطبقة النبلاء القديمة عن طريق المال. لكن ما الشكل الذى ستتخذه مثل هذه الظاهرة فى الطبقات الوسطى (فاليهود من الطبقة المتوسطة) حيث تتركز القضية اليهودية؟ فالاستحواذ السابق على السلطة قد يكون مرادفًا للسيادة الاقتصادية المزعومة ـ خطأ ـ على اليهود. وإذا كانت السلطة التى يتمتعون بها حاليًا تخلق نوعًا من السخط والغضب الشديدين بين معادى السامية، فما هى الثورات التى سيخلقها مثل هذا النوع من ازدياد السلطة؟ وعليه، فلن تُتخذ أبدًا الخطوة الأولى نحو الامتصاص لما ستتضمنه من خضوع الأغلبية للأقلية المحتقرة حتى الآن، والتى لا تمتلك قوة عسكرية أو إدارية خاصة بها.

ومن ثم، أعتقد أن امتصاص اليهود عن طريق ثرائهم أمر بعيد المنال، وسيوافق على رأيى هذا اليهود فى الدول المعادية للسامية، أما فى الدول الأخرى التى يتمتع اليهود فيها بالراحة، فمن المرجح أنهم سيعترضون بشدة. فإخوتى فى الدين ـ الأكثر سعادة ـ لن يصدقونى حتى يعلمهم اضطهاد اليهود الحقيقة؛ فكلما طالت فترة ركود معاداة

السامية اشتدت قوة اندلاعها. فتسلل اليهود المهاجرين، منجذبين نحو أرض تبدو لهم آمنة، وارتقاء السلم الاجتماعى لليهود من أهل البلد، إنما يتحدان بقوة ليسفرا عن ثورة عارمة. وليس هناك ما هو أوضح من هذه النهاية المنطقية.

ونظراً لأننى توصلت إلى هذه النتيجة دون اكتراث بأى شىء عدا البحث عن الحقيقة، فمن المرجح أن يغالطنى ويعترض على اليهود ممن يتمتعون برغد العيش. وحيث إن المصالح الخاصة فقط هى ما يخشى عليها مالكوها ويشعرون حيالها بالقلق والوجل، فيمكن إذن تجاهلها، حيث هموم الفقراء ومشكلاتهم هى الأهم. وإن كنت أتمنى من البداية أن أحول دون وقوع أى سوء فهم، بخاصة الفكرة الخاطئة أن مشروعى، إن أصبح قيد التنفيذ، قد يضر بأى حال من الأحوال ما يمتلكه اليهود حاليًا، ولسوف أشرح تفصيلاً كل ما له علاقة بحقوق الملكية.

أما إذا ظل مخططى هذا مجرد قطعة أدبية، فسيبقى الوضع على ما هو عليه. وقد يبدو منطقيّا إذا ما أثير اعتراض يقول بأنى أساعد معادين السامية عندما أقول إننا أمة واحدة؛ من حيث إننى بذلك أعرقل انصهار اليهود فى تلك المجتمعات وأعرضه للخطر، فيما كان على وشك أن يتحقق، كما لو كان بإمكان أى كاتب أعزل إعاقة أى شىء أو تعريضه للخطر.

سيثار هذا الاعتراض بصفة خاصة فى فرنسا، ومن المرجح أن يُثار فى عدد من الدول الأخرى، إلا أننى سأبدأ بالرد على يهود فرنسا؛ لأنهم يقدمون خير مثال على وجهة نظرى.

بصرف النظر عن مدى تقديسى لمفهوم الهوية ـ الهوية القوية لدى رجال الدولة، والمخترعين، والفنانين، والفلاسفة، والقادة، بالإضافة إلى الهوية الجماعية لجماعة تاريخية من البشر والتى نطلق عليها اسم «أمة»، فبقدر ما أقدر الهوية، إلا أننى لا أندم على زوالها. فكل من يستطيع، أو يرغب، أو يجب عليه أن يهلك، . . فليهلك! أما القومية المميزة لليهود فلا يمكن ولا ينبغى ولا يجب تدميرها. لا يمكن تدميرها؛ لأن أعداءها الخارجيين يعملون على تقويتها، فلا يمكن القضاء عليها؛ ويتضح هذا من خلال ألفين سنة من التعذيب المروع. لا يمكن تدميرها، وأنا ـ كواحد من أبناء سلالة تضم عددا لا حصر له من اليهود الذين رفضوا الاستسلام ـ

أحاول إثبات ذلك مرة أخرى فى هذا الكتيب. قد تذبل وتسقط أغصان كاملة من الشجرة اليهودية، أما جذعها فباق.

بناءً عليه، فإنه فى حالة قيام أى من يهود فرنسا بالاحتجاج على هذا المخطط استنادًا إلى فكرة «الانصهار فى المجتمع» فإن ردى ببساطة هو: أن الأمر برمته لا يعنيهم على الإطلاق. فهم كيهود فرنسا على العين والرأس، أما هذه المسألة فهى خاصة باليهود وحدهم.

مما لا شك فيه أن اقتراحى بالاتجاه نحو تأسيس دولة اليهود لن يحيق الأذى بيهود فرنسا أكثر من أى من «المنصهرين» فى الدول الأخرى، بل على العكس، سيكون ذلك فى صالحهم على نحو مميز، حيث لن يتعرضوا للإزعاج مرة أخرى فى «وظائفهم اللونية» كما يصفها دارون، بل سيكون بمقدورهم الامتزاج بسلام، لأن حينها سيكون قد تم التخلص من معاداة السامية للأبد. وبالطبع سيحسب لهم انصهارهم إلى أبعد الحدود إذا مكثوا حيثما كانوا بعد أن تصبح دولة اليهود الجديدة، بمؤسستها العليا، واقعًا ملموسًا.

بل وسيستفيد «المنصهرون» حتى أكثر من المواطنين المسيحيين بمغادرة اليهود المؤمنين، حيث سيتخلصون بذلك من منافسة مزعجة ومقلقة وحتى مع طبقة العمال اليهودية المدفوعة بالفقر والضغط السياسى من مكان إلى مكان ومن أرض إلى أخرى، حيث ستستقر طبقة العمال التائهة تلك. ومن ثم، يستطيع العديد من المواطنين المسيحيين ـ ممن نطلق عليهم اسم «معادين السامية» أن يناهضوا فكرة هجرة اليهود الأجانب [إلى بلادهم]. ليس باستطاعة المواطنين اليهود القيام بذلك على الرغم من تأثير ذلك المباشر عليهم أكثر بكثير؛ فهم يشعرون فى المقام الأول بالمنافسة الشرسة بين الأفراد الذين يعملون فى أفرع مماثلة من الصناعة، ممن يقومون، بالإضافة إلى ذلك، بجلب معاداة السامية إلى الأماكن الخالية منها، أو زيادتها فى أماكن تواجدها. وقد عبر «المنصهرون» عن هذا الاستياء الدفين من خلال مشروعات «محبى البشرية»، حيث نظموا مجتمعات هجرة لليهود المشتتين، إلا أن هناك وجهًا آخر لهذه الصورة التى ستتحول إلى مشهد هزلى ما لم تتعامل مع آدميين. فبعض من هذه المؤسسات الخيرية تم تأسيسها ضد وليس من أجل اليهود المضطهدين، فكان تأسيسها بهدف

التخلص من هذه المخلوقات التعيسة فى أسرع وقت وإلى أبعد مكان. وهكذا، بالفحص المتأنى، يتضح أن العديد ممن يدعون صداقة اليهود ما هم إلا معادون للسامية من أصول يهودية، متخفون فى رداء محبى الإنسانية.

ولكن المحاولات الاستعمارية التى قام بها رجال كرماء بحق، وإن كانت محاولات شيقة، إلا أنها لم تسفر عن أى نجاح حتى الآن. ولا أعتقد أنهم قاموا بذلك بدافع التسلية، أو أنهم شاركوا فى تهجير اليهود الفقراء كما يشارك المرء فى سباق الخيل، فالقضية أشد خطورة ومأساوية من أن تُعامل على هذا النحو. بيد أن المثير فى هذه المحاولات هى أنها صورت على نطاق ضيق المبشرين الأوائل بفكرة دولة اليهود، وحتى يمكن الاستفادة من أخطائهم فى اكتساب خبرة تساعدنا على تطبيق الفكرة بنجاح على نطاق أوسع. ومما لا شك فيه أنهم قد تسببوا أيضًا فى بعض الأذى، أقلها هو نقل المعادين للسامية إلى مناطق جديدة، وهى النتيجة الحتمية لمثل هذه التصفية الزائفة. والأسوأ من ذلك هو حقيقة أن مثل هذه النتائج غير المرضية تميل إلى إلقاء حتى العقلاء فى براثن الارتياب. بينما مناقشة الأشياء التى تبدو غير عملية أو مستحيلة من شأنها أن تزيل ذلك الارتياب عن عقولهم، وما يبدو غير عملى ومستحيل تنفيذه على النطاق المحدود، قد لا يكون كذلك على النطاق الأوسع. فمشروع صغير قد يسفر عن خسارة فى الظروف نفسها التى قد يربح فيها مشروع كبير. فإن كان الجدول لا يتحمل إبحار القوارب، فالنهر الذى يصب فيه الجدول يحمل سفنا حديدية ضخمة.

لا يوجد إنسان غنى أو قوى بما فيه الكفاية لنقل أمة من مكان إلى آخر؛ فقط الفكرة تستطيع ذلك، ولدى فكرة إقامة دولة اليهود القوة المطلوبة لتحقيق ذلك. فتلك الفكرة هى حلم اليهود الأول منذ فجر تاريخهم، ولكم ترددت على ألسنتهم عبارة «العام المقبل فى القدس». أما اليوم، فالقضية هى إظهار أنه فى الإمكان تحويل هذا الحلم إلى واقع ملموس.

ولكى يتحقق هذا، يجب أولاً التخلص من العديد من الأفكار القديمة، البالية، المربكة، والمحدودة من عقول الأفراد. فقد تتخيل بعض العقول البليدة أن ذلك ما هو إلا هجرة من منطقة متحضرة إلى الصحراء. إلا أن الأمر ليس كذلك، فسيتم تنفيذ الفكرة فى قلب الحضارة. لن نهبط إلى مستوى أدنى، بل سنرتفع إلى مرتبة أعلى؛ لن

نتخذ من الأكواخ الطينية سكنًا لنا، بل سنبنى منازل أكثر حداثة وبهاءً، وسنمتلكها فى أمان. لن نفقد ممتلكتنا المكتسبة، بل سنثبتها، ولن نتنازل عن حقوقنا التى اكتسبناها عن حق إلا من أجل حقوق أفضل. لن نضحى بعاداتنا الغالية علينا، بل سنجدها مرة أخرى. لن نترك منزلنا القديم إلا بعد أن يتم تجهيز منزلنا الجديد. سيرحل فقط من هم على يقين أنهم سوف يحسنون من مستواهم. ليذهب اليائسون أولاً، ثم الفقراء، ثم ميسورو الحال، ثم الأغنياء فى آخر المطاف. وعلى من يذهبون أولاً أن يرتقوا بمستواهم الاجتماعى بشكل مساو للذين سرعان ما سيلحق بهم ممثلوهم. ومن ثم سيصبح «الخروج» ارتقاء فى المستوى الاجتماعى فى الوقت ذاته.

لن يكتنف مغادرة اليهود أى اختلال اقتصادى أو أزمات اقتصادية أو سياسية أو انتهاكات، فى الواقع ستشهد الدول التى سيتركها اليهود عهدًا جديدًا من الرخاء، حيث سينزح المواطنون المسيحيون إلى المناطق التى تركها اليهود فى شكل هجرة داخلية. وسيكون التدفق الخارجى تدريجيّا، دون أى إزعاج، ولسوف تضع الحركة الأولى نهاية لمعاداة السامية. سيغادر اليهود كأصدقاء موقرين، وفى حالة عودة بعضهم، سيتم الترحيب بهم و التعامل معهم بالطريقة ذاتها التى تتبعها الأمم المتحضرة مع كل الزوار الأجانب. لن يكون هناك أى تشابه بين مغادرة اليهود والفرار، بل ستكون حركة منظمة تحت سيطرة الرأى العام؛ فالحركة لن تبدأ فقط بالإذعان الكامل للقانون، بل ولن تتحقق إلا بالتعاون الودى من قبل الحكومات المهتمة والتى ستجنى منافع عدة من ورائها.

وسيتحقق ضمان نزاهة الفكرة وسرعة تنفيذها من خلال تأسيس هيئة اعتبارية أو شركة يطلق عليها اسم «مجتمع اليهود». وبالإضافة إليها، سيكون هناك شركة يهودية تعمل كجهاز اقتصادى منتج.

أى فرد يحاول أخذ تنفيذ هذه المهمة الضخمة على عاتقه بمفرده هو إما محتال أو مجنون. وستضمن الهوية الشخصية لأعضاء الشركة نزاهتها، بينما سيؤمن استقرارها رأس المال الكافى.

وهذه الملاحظات الأولية ما هى إلا رد سريع على الكم الهائل من الاعتراضات التى قطعًا تثيرها كلمتى «دولة يهودية». وعليه، ومن الآن فصاعدًا فسنتقدم بتمهل فى الرد

على أية اعتراضات أخرى، وفى التوضيح التفصيلى لما تم الإشارة إليه حتى الآن، وسنحاول فى هذا الكتيب أن نتجنب تحويله إلى سرد ممل، ففصول قصيرة من الحكمة الموجزة ستفى بالغرض.

فإذا أردت إحلال مبنى قديم بآخر جديد، فسيتعين علىّ الهدم قبل البناء، ولسوف أتبع هذا التتابع الطبيعى. ففى الجزء الأول العام، سأشرح أفكارى وأزيل كافة التحاملات، وأحدد الظروف السياسية والاقتصادية الهامة، وأطور الخطة.

أما فى الجزء الخاص، والمقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية، فسأشرح كيفية تنفيذها. وهذه الأقسام الثلاثة هى: **الشركة اليهودية، والمجموعات المحلية، وجمعية اليهود**.

يجب تأسيس المجتمع أولاً والشركة أخيراً، لكن عند التوضيح يفضل العكس، حيث سيكون الوضع المالى لهذا المشروع موضع تساؤل، ومن ثم، يجب أولاً تبديد أى شك حول هذه النقطة.

أما فى الخاتمة، فسأحاول الرد على أية اعتراضات أخرى قد تطرأ. وأتمنى من قرائى اليهود أن يتبعونى بتأن حتى النهاية. بالطبع سيبنى البعض اعتراضه على تتابع مختلف عن التتابع المختار للتفنيد، وعلى كل من يشعر أن شكوكه قد تبددت أن يعلن إخلاصه لهذه القضية.

على الرغم من أننى أتحدث باسم المنطق، إلا أننى على دراية كاملة أن المنطق وحده غير كاف، فالسجناء القدامى لا يتركون زنزاناتهم طواعية. ولسوف نرى ما إذا كان الشباب الذين نحتاجهم يأتمرون بأمرنا ـ الشباب الذين عليهم الاستفادة من خبرات القدامى، ويحملونهم على أكتافهم إلى الأمام، ويحولون الدوافع العقلية إلى حماسة متقدة.

* * *